﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف: 100]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

يـومَ القيامةِ تكونُ الحقائقُ مرئيَّةً للعيان جمعًا للأمم، وعرضًا لجهنَّم

لمّا ذُكِرَ فيما سبقَ دَكُّ السَّدِّ واضطرابُ الخَلْقِ والنَّفْخُ في الصّورِ، وجمعُ الخَلْقِ ممّا هو مِنْ أحوالِ قيامِ السّاعةِ؛ عُقِّبَ ذلكَ ببيانِ أنَّ الحقائقَ الَّتي جاءَ بالإخبارِ عنها الأنبياءُ والرُّسُلُ تكونُ مرئيَّةً يومئذٍ بالعيانِ، فقيلَ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعَرَضْنَا﴾: (عرض) أصل تَكثُرُ فروعُهُ، وله معَ كثرتِه معنىً محوريٌّ واحدٌ، وهو العَرْضُ الَّذي يخالفُ الطّولَ[2]، أي: اتِّساعُ ما يواجهُ النّاظرَ مِنَ الشَّيءِ الكثيفِ[3]، وعَرَضْتُ الشَّيءَ على البيعِ، وعلى فلانٍ: أظهرتُهُ لهُ وأبرزتُهُ إليهِ، كأنّي في ذاكَ قد أريتُهُ عَرْضَهُ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72]، وأصلُ العَرْضِ أنْ يقالَ في الأجسامِ، ثمَّ تُوُسِّعَ فيهِ، وصارَ يُستعمَلُ في غيرِها؛ كقولِه تعالى: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: 51][4]، ومعنى قولِه: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾: أظهَرْنا لهُم جهنَّمَ حتَّى شاهَدوها ورأَوْها[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عـرض جهنَّم على الكافرينَ عقابٌ نفسيٌّ قبلَ العقاب الجسديِّ المهين

يخبرُ تعالى عمّا يفعلُهُ بالكفّارِ الجاحدينَ المعاندينَ يومَ القيامةِ: أنَّهُ يَعرِضُ عليهِم جهنَّمَ، أي: يُبرِزُها لهُم ويُظهِرُها؛

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4592.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عرض).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (عرض).
(5) الزّجاج، معاني القرآن: 3/ 313، وابن جرير، جامع البيان: 18/ 132.

ليَرَوْا ما فيها مِنَ العذابِ والنَّكالِ قبلَ دخولِها؛ ليكونَ ذلكَ أبلغَ في تعجيلِ الهمِّ والغمِّ والحُزنِ لهُم، وليعلموا أنهم مواقعوها لا يجدون عنها مصرفًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في جملة ﴿وَعَرَضْنَا﴾:

الواوُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ للعطفِ، وهي تفيدُ دخولَ عَرْضِ جهنَّمَ للكافرينَ في جملةِ أحوالِ يومِ القيامةِ المذكورةِ فيما سبقَ؛ مِنْ جعلِ الخَلْقِ مضطربينَ، والنَّفْخِ في الصّورِ، وجمعِ الخَلْقِ للحسابِ والجزاءِ، بل كلُّ ما سبقَ تمهيدٌ لهذا العَرْضِ المَهيبِ.

عَـرْضُ جهنم المَهيب، الّتي هي المحطة الأخيرة فـي مـشاهـد القيامة

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في ﴿وَعَرَضْنَا﴾:

عُبِّرَ عن عَرْضِ جهنَّمَ للكافرينَ الجاحدينَ بصيغةِ الماضي في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ مع أنَّ عَرْضَها لهُم أمرٌ مُستقبَليٌّ بصَدَدِ الوقوعِ؛ إيذانًا بأنَّ هذا العَرْضَ أمرٌ مُتيقَّنٌ مقطوعٌ بحصولِه، لا شكَّ فيه ولا ارتيابَ، وكأنَّهُ وقعَ وأُخبِرَ عنهُ بهذه الآيةِ؛ لأنَّ المُخبِرَ به علّامُ الغُيوبِ ﷻ الَّذي لا تخلُّفَ فيما أخبرَ بهِ.

إيـثـار الصّيـغـةِ المـنـاسـبـةِ لمـقـامِ القَطْعِ بحصولِ العَرْضِ

نكتةُ إسنادِ ﴿وَعَرَضْنَا﴾ إلى ضميرِ العظَمةِ:

أُسنِدَ فعلُ عَرْضِ جهنَّمَ للكافرينَ إلى ضميرِ العظَمةِ في قولِه تباركَ وتعظَّمَ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾؛ تفخيمًا لأمرِ هذا العَرْضِ وتهويلًا بأنَّ فاعلَهُ ومُتولّيَهُ العظيمُ القديرُ المُنتقِمُ الجبّارُ جلَّتْ قُدرتُهُ، وفي ذلكَ وعيدٌ للكفّارِ عظيمٌ؛ لما يَحصلُ لهُم عندَ مشاهدتِها مِنَ الفَزَعِ والرَّوعةِ.

تـهـويـلُ أمـرِ عَـرْضِ جـهـنَّـمَ لـلـكـافـريـنَ، لما سـوف يـعـانـونـه مـن الـعـذاب الأليم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 122، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 201.

بلاغةُ الاستعارة أو الكناية في سياق الآية:

التَّعبيرِ بالعَرْضِ لون من التّهكّم المؤلم

يحتملُ أنْ يكونَ عَرْضُ جهنَّمَ للكافرينَ في قولِه تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ قبلَ إدخالِهم فيها، كقولِه تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ [الشعراء: 91][1] وعليه يكونُ العَرْضُ مُستعمَلًا في إبرازِها حينَ يُشرِفونَ عليها، وقد سيقوا إليها، فيعلمونَ أنَّها مُهيَّأةٌ لهُم، فشُبِّهَ ذلكَ بالعَرْضِ تهكُّمًا بهم؛ لأنَّ العَرْضَ هو إظهارُ ما فيه رغبةٌ وشَهْوةٌ[2] فيكونُ في الكلامِ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تهكُّميَّةٌ، وهذا العَرْضُ يَجْري مَجْرى العقابِ؛ لما يتداخلُ الكفّارَ عندَهُ مِنَ الغَمِّ العظيمِ[3].

ويحتملُ أنْ يكونَ العَرْضُ كنايةً عن تعذيبِهم بها بعدَ إدخالِهم فيها، كقولِه سبحانَهُ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: 46][4].

إيثارُ اسمِ ﴿جَهَنَّمَ﴾ دونَ غيرِه مِنْ أسماءِ النّارِ:

جـهـنَّـمُ سِـجْـنُ الـكـافـريـنَ، تلقاهُم بالتَّجهُّمِ والعبوس

في اختيارِ اسمِ جهنَّمَ دونَ غيرِه مِنْ أسماءِ النّارِ في قولِه جلَّ شأنُهُ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ إشارةٌ إلى أنَّها سِجْنٌ للكافرينَ؛ لأنَّها سُمّيَتْ بذلكَ؛ لكونِها بعيدةَ القَعْرِ[5]، وإشارةٌ إلى أنَّها تَلْقَى داخلَها بالتَّجهُّمِ والكراهةِ؛ لما فيها مِنَ الغَيْظِ والحَنَقِ عليه[6]، وفي ذلكَ لَمْحٌ لما قيلَ؛ مِنْ أنَّ أصلَ مادَّةِ الجيمِ والهاءِ والميمِ مِنْ تجهَّمَ، إذا عَبَسَ وجهُهُ، وهم أيضًا تتجهَّمُ وجوهُهم وتَعْبِسُ فيها؛ لما يُلاقونَ مِنْ ألمِ العذابِ[7].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 210.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 42.
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 500.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 210.
(5) الراغب، المفردات: (جهنم).
(6) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 145.
(7) الشنقيطي، أضواء البيان: 2/ 147.

بلاغةُ الإيجازِ في لفظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

التَّنوينُ عِوَضٌ مِنْ جملةٍ محذوفةٍ تدرك بالتّأمّل

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قولِه ﷻ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ فيه إيجازٌ بالحذفِ؛ لأنَّ التَّنوينَ فيه عِوَضٌ مِنْ جملةٍ محذوفةٍ، والمعنى: وأبرَزْنا جهنَّمَ يومَ إذ جمَعْنا الخلائقَ كافَّةً للكافرينَ، يَرَوْنَها رَأْيَ العَيْنِ، مِنْ غيرِ غِشاوةٍ تَحولُ بينَهم وبينَ رؤيتِها، ويسمعونَ لها تغيُّظًا وزفيرًا[1]، والحذف دلالة على قوة المعنى وظهوره بما يغني عن الذكر.

سرُّ تكرارِ لفظِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في السّياق:

العِنايةُ بظرفيَّةِ يومِ القيامةِ إبرازًا للأهوالِ والأفزاعِ المنتظرة فيه

كُرِّرَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ مع أنَّهُ قد تقدَّمَ في قولِه سبحانَهُ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾؛ لما يُفيدُهُ تكرارُهُ مِنَ العِنايةِ بكونِ يومِ القيامةِ ظرفًا للأهوالِ والأفزاعِ، ومِنْ إدخالِ الرَّوعِ والمَهابةِ في نفسِ السّامعِ كلَّما طَرَقَ سَمعَهُ ذكرُ هذا اليومِ العظيمِ الَّذي يغضبُ فيه الرَّبُّ ﷻ غضبًا لم يَغْضَبْ مِثلَهُ قطُّ، وليكونَ في الكلامِ تهديدٌ للكفرةِ المُنكرينَ للبعثِ والنُّشورِ بذكرِ عَرْضِ جهنَّمَ لهُم مقرونًا بذكرِ يومِ القيامةِ الَّذي يُكذِّبونَ بهِ، ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [المطففين: 12].

نكتةُ التَّعبيرِ باللّامِ دونَ (على) في ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾:

اختصاصُ عَرْضِ جهنَّمَ بالكافرينَ، مستحقّ لما أبدوا من ضلال

يقالُ في اللُّغةِ: عَرَضْتُ الشَّيءَ على فلانٍ، ويقالُ: عَرَضْتُ الشَّيءَ لفلانٍ[2]، والغالبُ في القرآنِ استعمالُ (على) كما في قولِه جلَّ شأنُهُ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: 31] وقولِه: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: 48]، وقولِه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72]، وقولِه: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 229، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4593.

(2) الراغب، المفردات: (عرض).

[الأحقاف: 20]، وأمّا في قولِه تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ فقد اختيرَ التَّعبيرُ باللّامِ دونَ (على)؛ لأنَّ اللّامَ فيها معنى الاختصاصِ، فتفيدُ أنَّ عَرْضَ جهنَّمَ وما يَعقُبُهُ مِنْ دخولِها والخُلودِ فيها أمرٌ مختصٌّ بالكافرينَ، لا يتجاوزُهم إلى غيرِهم.

سرُّ تخصيصِ العَرْضِ بالكافرينَ:

خُصَّ عَرْضُ جهنَّمَ في قولِه جلَّ وتباركَ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ بالكافرينَ، معَ أنَّها بمَرْأًى مِنْ أهلِ الحَشْرِ قاطبةً؛ لأنَّ ذلكَ لأجلِهم خاصَّةً[1] فهُم أهلُها، وهم الَّذينَ كانوا يتغافلونَ، وهم الَّذينَ كانوا يُنكِرونَ البعثَ وما وراءَهُ[2] ولأنَّ عَرْضَها عليهِم ليسَ كعَرْضِها على المؤمنينَ، بل هو عَرْضٌ يَعْقُبُهُ دخولُها ومباشرتُها والخُلودُ فيها[3] ولأنَّ في التَّخصيصِ بالكافرينَ بشارةً للمؤمنينَ[4].

الكافرونَ هم أهلُ النّارِ الَّذينَ كانوا يُنكِرونَها

دلالةُ (اللّامِ) في شبه الجملة ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾:

تدلُّ لامُ التَّعريفِ الدالة على الاختصاص في قولِه جلَّ شأنُهُ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ على العُموم والاستغراقِ للمختصين بوصف الكفر، فيكونُ عَرْضُ جهنَّمَ شاملًا لكلِّ كافرٍ، والمعنى: وأبرَزْنا جهنَّمَ وأظهَرْناها لكلِّ كافرٍ مِنَ الكافرينَ.

عَرْضُ جهنَّمَ لعُمومِ الكافرينَ، ممّن يزاولون الكفر

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ دونَ (الَّذينَ كفَروا) ونحوِهِ:

أوثِرَ التَّعبيرُ باسمِ الفاعلِ في قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ ولم يُقَلْ مثلًا: (وعرَضْنا جهنَّمَ للَّذينَ كفَروا) أو (للَّذينَ يكفُرونَ)؛ لإفادةِ صيغةِ اسمِ الفاعلِ أنَّ اتِّصافَهم بالكفرِ أمرٌ ثابتٌ لهُم متمكنٌ فيهم، وأنَّهم راسخونَ فيهِ، ولذلكَ استوجَبوا الاختصاصَ بأنْ تُعرَضَ جهنَّمُ لهُم.

صيغةُ اسمِ الفاعلِ دالَّةٌ على رُسوخِهم في الكفرِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 365.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4593.
(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 8997.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 229.

الغرض من تقديم ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ على ﴿عَرْضًا﴾:

تعجيلُ المَساءةِ ومراعاةُ الفاصلةِ مفيدٌ في الدَّلالة

قُدِّمَ ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ على ﴿عَرْضًا﴾ في قولِه ﷻ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾؛ لإفادةِ التَّقديمِ تعجيلَ المَساءةِ للكافرينَ بكونِ عَرْضِ جهنَّمَ يومَ القيامةِ لهُم لا لغيرِهم، ولِما في تأخيرِ ﴿عَرْضًا﴾ مِنْ مراعاةِ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لما قبلَها وما بعدَها مِنَ الفواصلِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ المُطْلَقِ ﴿عَرْضًا﴾:

تأكيدُ العَرْضِ، ودفعُ احتمالِ التَّجوُّزِ فيه

أُتيَ بالمفعولِ المُطلَقِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾، ولم يُقتصَرْ على ذكرِ فعلِ العَرْضِ؛ لتحقيقِ العَرْضِ وتأكيدِهِ[1]، ببيانِ أنَّهم يَرَوْنَ ذلكَ رَأْيَ العَيْنِ، ولا يخفى عليهِم مِنْ نتائجِ أعمالِهم شيءٌ مِنَ الخَفاءِ[2]، ولدفعِ توهُّمِ المجازِ في الفعلِ[3]، إضافةً إلى أنَّ ذكرَهُ في الآيةِ يترتَّبُ عليه مراعاةُ فاصلةِ الآيةِ لما قبلَها وما بعدَها.

الغرض من تنكيرِ لفظ ﴿عَرْضًا﴾:

تهويلُ أمرِ العَرْضِ، متناسب مع هول المشهد

يُستفادُ مِنْ تنكيرِ ﴿عَرْضًا﴾ في قولِه ﷻ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ تفخيمُ أمرِ العَرْضِ وتهويلُهُ، أي: وعرَضْنا جهنَّمَ يومَ القيامةِ للكافرينَ عَرْضًا فظيعًا هائلًا لا يُقادَرُ قَدْرُهُ[4] ولا يوصَفُ هَوْلُهُ، وهذا يلائمُ مقامَ الوعيدِ والتَّهديدِ والتَّخويفِ الَّذي سيقَتْ لهُ الآياتُ.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 544،
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4593.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 42.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 365، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 42.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»